PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(02): 144-159
ISSN: 1553-6939

Commitment in the Writings of Zhor Ounissi

Dr. Kadri Houria

Tahri Mohammed University of Bechar (Algeria), E-mail: kadri.houria@univ-bechar.dz

Received: 12/2024, Published: 02/2025

Abstract:

The concept of commitment has emerged in the Arab literary scene, particularly in the context of engaged literature as envisioned by Sartre. The Arab intellectual landscape witnessed extensive debates, especially in the second half of the twentieth century, often taking on ideological dimensions due to the rise of diverse intellectual currents with various origins and orientations.

Commitment, in its prevalent understanding, fundamentally contradicts the modern concept of literature, as it is perceived as a detrimental influence on art in general and a distortion of truth. Literature's function is not political struggle. In this sense, those advocating for the utilization of literature in the process of nation-building do a disservice to both literature and art while also stripping the very process of construction of its intrinsic motivating and guiding spirit.

Thus, literary studies have placed great emphasis on the concepts of commitment and obligation, successfully reflecting them in literature. Various intellectual movements have contributed to shaping broad outlines for both concepts, as each is rooted in an individual and societal consciousness. These concepts have had a significant impact and strong resonance in literary criticism, linking literature to contemporary issues.

Commitment remains a crucial critical issue, as it has been widely employed as a critical, literary, intellectual, and political term since the mid-twentieth century. It has been explored by three major critical schools: socialist realism, existentialism, and political Islam. This raises the key research question: To which school did Zhor Ounissi align herself in her writings? Was she committed or obligated in presenting the issues in her literary works?

Keywords: Commitment, Zhor Ounissi, Realism.

الالتزام في كتابات زهور ونيسي

د. قادري حورية

جامعة طاهري محمد، بشار (الجزائر)، البريد الإلكتروني: houria.kadri@yahoo.com

الملخص:

برز مفهوم الالتزام في الساحة الأدبية العربية، بشكل أوضح، الأدب الملتزم وفقا لتصور سارتر وشهدت ساحات الفكر العربي جدلا واسعا وخصوصا في النصف الثاني من القرن الماضي، اتخذ في كثير من الأحيان، طابعا أيدولوجيا؛ بسبب بروز التيارات الفكرية متعددة المنطلقات والتوجهات.

إنّ الالتزام بمفهومه السائد، يتعارض بشكل جذري مع المفهوم الحديث للأدب وأنه ليس سوى تأثير مضر بالفن بشكل عام ومشوه للحقيقة، فوظيفة الأدب ليست بالكفاح السياسي. وبهذا المعنى فالدّاعون إلى تسخير الأدب في عمليّة البناء يسيئون إليه وللفن ويسلبون عمليّة البناء ذاتها من روحها الدّافع والموجه والواقي.

لذا اهتمت الدراسة الأدبية اهتمامًا مطلقًا بمفاهيم الالتزام والإلزام، واستطاعت أن تجسد ذلك في الأدب، كما ساهمت التيارات المتعددة في رسم خطوط عريضة لكلا المفهومين فكلا هما قائم على فكر واع خاص بالفرد والمجتمع، كما كان لهما تأثير واضح وصدى قوي في النقد الأدبي، واستطاعا ربط الأدب بقضايا العصر.

وتعد قضية الالتزام من القضايا النقدية الهامة، حي استخدمت كمصلح نقدي وأدبي وفكري وسياسي على أوسع نطاق بعد منتصف القرن العشرين، تداولته ثلاثة تيارات نقدية وهي الواقعي الاشتراكية والوجودية، والإسلامية السياسية. ومن هنا نطرح سؤال الإشكالية: في أي تيار سارت زهور ونيسي في كتاباتها؟ وهل كانت ملتزمة أم ملزمة في طرح قضايا ابداعاتها؟

الكلمات المفتاحية: الالتزام، زهور ونيسي، الواقعية.

مفهوم الالتزام لغة:

ويراد به الاعتناق، وعدم المفارقة، يقال: " لزمت الشيء بالكسر لزوما ولزاما، ولزمت به ولازمته وألزام الملازمة، ويقال صار كذا ضربة لازم لغة في ضربة لازب، وألزمه الشيء والتزمه، والالتزام أيضا الاعتناق" وورد في لسان العرب لزِمَ الشيءَ يَلْزَمُه لَزْماً ولُزوماً ولازَمه مُلازَمَةً ولِزاماً والتزَمَه .وأَلزمَه إِيَّاه فالتزَمَه ورجل لُزَمَةٌ يَلْزَم الشيء فلا يفارِقه"[1]

وجاء في أساس البلاغة" لزم لزمه المال لزوما، وألزمته إياه ولزم غريمه لزم ولا تنتزع من لزمه حتى تنتزع الحق منه، وفلان ملزوم وأخذ يمطلني فلازمته حتى استوفيت حقي منه وألزمت

[1] – ابن منظور، لسان العرب ، مادة (لزم).

خصمي إذا حاججته، والتزم الآمر وهذا ملزم الصقيل لخشبة التي يصقل عليها ومن المجاز التزمه عانقه[1] ."

مفهوم الالتزام اصطلاحا:

أما تعريف "الالتزام" في الاصطلاح الحديث فهو لا ينصرف إذا أطلق إلى "الالتزام الأدبي "فقط؛ لأن هناك أنواعاً من الالتزام العقدي أو الخلقي أو السياسي أو الحزبي أو العسكري إلى آخر ما هنالك من أنواع الالتزام التي يحددها الوصف.

وفي النقد الأدبي يعني أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد، ينطلق منها حاملا لواءها، فالالتزام إنما" يقوم " بالدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب، أو الفنان، وهذا الموقف يقتضي صراحة، ووضوحا واخلاصا واستعدادا " ذلك أن الأدب الملتزم أدب هادف يعالج الفنان من خلاله مشاكل الأمة ويرسم مسارها الصحيح بعيدا عن الغموض والإبهام"[2].

كما تعرضت فكرة الالتزام إلى الانتقاد، من النقاد الجماليّين العرب، حيث ارتبطت لديهم بهيمنة المضمون السياسي على حساب الفني. وقد دعا هؤلاء النقاد إلى ضرورة أن يكون الملتزم مبدعا أوّلا، في الالتزام تبسيطا لقضية الأدب واجتزاء لها. فقضية الأدب، هي الإنسان والسؤال الذي يطرح نفسه ليس عما إذا كان الأدب ملتزما أم لا؟، بل عما إذا كان جيدا أم رديئا.

. وإنَّ الالتزامَ يجعلُ الأدبَ نشاطاً جادّاً فعَّالاً، ذا تأثيرٍ في مسار الحياة، وفي حركتها – وذلك يُكْسِبُه المصداقيَّة والقيمة، ولو أخذنا برأي أصحاب (الفن للفن)، وبرأي بعض المدارس الحَدَاثِيَّة المعاصرة، التي تنحو منحى (الفنِّ للفنِّ) على صُوَرٍ مختلفةٍ؛ لسَقَطَتْ منزلةُ الأدب لأنه سيتحوَّلُ عندئذٍ إلى حُلىً لفظيَّةٍ، وزخارفَ كلاميَّةٍ، لا غرضَ لها أبعد من ذلك ".فالأديب الملتزم لن يمارس التزامه قسرا أو إقحاما واختراقا للنص من الخارج ، ولكنّه إذا تشرب بفكرته وصار مؤمنا بها حق

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ج:02 ، 1998 .

[2] – أحمد ابوحاقة، الإلتزام في الشعر العربي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، س ط 1976، ص 14

الإيمان ، فإن شخوصه وحبكته الروائية، وبناءه المسرحي سيضع لنفسه مكانة متوازنة ، غير متكلفة أو مقحمة"[1]

الكاتب والالتزام:

ولأن " الكاتب يجب أن يكون صاحب موقف واضح محدد وهذا الموقف يفرض عليه الإيمان بشيء إزاء قضايا وطنه الصغير، وقضايا العالم الذي لا يمكن أن ينعزل عنه "ولا أن يتنكر للمتناقضات الكبرى ، والتيارات المختلفة ، التي تنخر المجتمع فالكاتب يسعى إلى رسم دعائم الاستقرار الاجتماعي بالتزام عقيدة أو فلسفة يرى أنها الأمثل في خلاص المجتمع"[2] "إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداما أفضى إلى الفوضى"[3] ، فالأديب صاحب رسالة اجتماعية نابعة مما يعتقده عن وعي وقناعة، ومسؤولية " أمام ضميره وأمام عقيدته و أمام المجتمع الذي ينتمي إليه وأمام الإنسانية قاطب...فهو بحكم عمله وبموجب المهمة التي ندب نفسه لها، غير قادر على أن يتجاهل ما يجري حوله ... لذلك يتخذ البادرة الحرة المسؤولة في معاجلته ليحقق وجوده كما ينبغي له"[4]، فلذلك لا يخلو أديب من الالتزام ، فالالتزام "بقيم وآراء في النطاق الاجتماعي والقومي سواء كان مدنيا أم ثقافيا أو كان دينيا يفرض سيطرته على أقوال الناس واتجاهاتهم كثيرا، فالأدب وان كان صاحبه يعبر عن ذاتيته إلا أنه في الوقت نفسه مرتبطا بمجتمعه الذي ينتمي إليه، يحس في وجدانه هموم هذا المجتمع وهذه هي العلاقة المتبادلة بين الأديب والمجتمع.

فظاهرة الالتزام قد اكتسحت أغلب المجالات النّقدية الحديثة، بحيث اعتبرت جميعها وأضحت أي دراسة لا تخلو من هذا التيار العارم، بحيث هناك من الكُتَاب من يرى أن فكرة الالتزام لم تكن على شكل نظرية مبلورة في النقد الأدبي القديم حيث أنّ ظهورها ونموها لم يكتمل إلاّ في عصرنا الحالي وكلّ ذلك نتيجة التطور الثقافي والفكري والأدبي وحتى الفنّي وهناك أيضا من يرجح أنّ فكرة الالتزام نبتت على أرضية العلم، وعلى صخب المعامل وويلات الظلم والحروب.

---

[1] – أحمد أبوحاقة، ص:14

[2] – نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، س ط 1987، ص، 440 .

[3] – أحمد أبوحاقة، المرجع السّابق، ص15.

[4] – أحمد أبوحاقة، المرجع السابق، ص:40.

فالالتزام قديم من حيث استعماله اللّغوي، بحيث يقتضي هذا المفهوم تطورا فكريا وثقافيا واجتماعيا وحتى سياسيا، وقد بني الأديب موقفه على الصّراحة واليقين والصدق والوضوح بالإضافة قد يرتبط الالتزام بالعقيدة وخاصة إذا انبثق من الإيمان الصادق وعلى هذا الأساس يعد الفكر الملتزم فكرا موضوعيا في حدّ ذاته يقوم على الاختيار لا التخيير، وعلى الحرية لا التقيد، وعلى المطلق لا الإجبار.

وفي رأي أبو حاقة أنّ: "الالتزام قديمة في الاستعمال اللّغوي، لكن التطور الفكري الحديث قد أضاف عليها معنى اصطلاحيا جديدًا، وهي أكثر ما تطلق اليوم في معرض الكلام على الفكر الأدب والفن، حيث نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضايا الإنسانية الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية، وليس مقتصرا على المشاركة في هذه القضايا، وإنّما يقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنّان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحًا وإخلاصًا وصدقًا، واستعدادًا من المفكر الملتزم"[1] لأنّه يحافظ على التزامه دائما، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام، من هنا كان الالتزام.

مرتبطا بالعقيدة، منبثقا من شدة الإدمان بها، صادرًا في جميع أشكاله وأحواله عن إيديولوجية معنية يدين بها المفكر الملتزم.

ومفهوم الالتزام بهذا المعنى لا يعني الإلزام والجبر الذي يفقد معه الأديب حريته في العمل الأدبي، وانما يعني حرية الاختيار لما يؤمن به الأديب.

واذا كان الالتزام يعني الاختيار، فإن الإلزام ضده فهو يعني الجبر الذي قد يدفع له بعض الأدباء من أطراف" خارجية من سلطة أو ديكتاتورية مستبدة ، تجعل من الأدباء أبواقا تسبح بحمد السلطة وتروج لأفكارها ومبادئها وتنشر فلسفتها وآرائها وفرق نوعي كبير بين أن يأتي الالتزام من باطن التجربة ويجري في أوصالها وهي تتخلق كما يجري الدم النقي في شرايين الأجنة فيهبها الحياة وبين أن يكون إكراها مدفوعا إليه الأديب من خارج الذات"[2].

[1] – أحمد أبوحاقة، المرجع نفسه، ص: 16.

[2] – عباس محجوب: الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية، ط 1، جدار للكتاب العالمي، عمان، 2006، ص: 120

رؤى فلسفية حول الالتزام:

أولا: رأي جان بول سارتر:

وهو زعيم الفلسفة الوجودية، حيث يصرُ" على أن الوجود يسبق الماهية يرجع إلى رغبته في تحرير الذات مما تراكم عليها من قيود المجتمع الذي يستبدُّ بها ويقيدها، والإنسان يعي حريته حين ينزع نفسه من عادات و تقاليد المجتمع وهو في هذه اللحظة يحدد موقفه الحاضر ويتخذ باختياره المستقبل بالتزام حرف هو حيال' موقف Situation' يشعر إزاءه بالقلق الذي يدفعه إلى الالتزام– وهذا الالتزام طوعي لا قسر فيه–"[1]

مع العلم أن الاعتراف بذاتية الإنسان لا يعني حبسه داخل إطار ذاتيته بل هو ملتزم لنفسه وللآخرين. وأن حرية الاختيار ليست فوضوية، فبالرغم من الحرية لا تشمل الأفعال فقط، بل تشمل العواطف والإحساس.

وأنّ لهذه الفلسفة اتجاهان: "أحدهما سلبي وآخر إيجابي، فالأول يتضح في الخضوع للإملاء الذي يفرضه الآخرون على الذات، فيحقق ذاته عن طريق الذوبان في المجموع– الآخر– وعلى ذلك فهو جبانl’ache وسوف يفقد حريته في النهاية، ويتحول من موجود لذاته إلى موجود في ذاته(الوجود لذاته l’etre pour soi، الوجود ذاته l’etre en soi) أما الاتجاه الثاني التزام إيجابي ينتج عن الرفض لأية أحكام سابقة وعليه فلنواجه الحياة بأنفسنا من غير معاونة خارجية رافضين لكل المثل الجاهزة"[2].

ثانيا رأي الماركسية:

ويؤمن الفكر الماركسي بما يسمى بنظرية الانعكاس...فهم يرون أن الفكر يخلق العالم ويعكسه فقط، وحين يعكس الفكر الواقع نلاحظ أنه يتيح لذاته القدرة على التدخل المباشر في الواقع، وعلى ذلك فإن فعل الإنسان وقدرته الفاعلية، إنما هي قدرة غائبة، فقبل البدء في عمل ما، لابد وأن يكون قد خطط منهجيته الخاصة به. فالالتزام إنما يقوم " بالدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر، أو الأديب، أو الفنان، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا واستعدادا "[3] ، ذلك

[1] – رجاء عيد، فلسفة الالتزام، ص:141.

[2] – ينظر: رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988، ص:144.

[3] – نفسه ص:140

أن الأدب الملتزم أدب هادف، يعالج الفنان من خلاله مشاكل الأمة ويرسم مسارها الصحيح ، بعيدا عن الغموض والإبهام"[1].

ولقد استخدم الأدباء المسلمون مصطلح الالتزام، استخداما مغايرا للفلسفات والمذاهب الأخرى كالماركسية والوجودية فهم يرون أن" الفن الإسلامي عموما والأدب على وجه الخصوص عبر رحلته الطويلة ملتزما ولا يزال ملتزما ، بالقضايا الاجتماعية والعناصر الفنية للأدب وعندما يغيب الالتزام عن معترك الحياة وساحة الأدب تميل الأمور الاجتماعية نحو الميوعة والانحلال، والابتعاد عن الأعراف والتقليد"[2]، مما يؤدي إلى اضطراب فني واجتماعي على حد سواء.

الأدب الملتزم في كتابات زهور ونيسي:

حينما كانت الجزائر تمرَّ بمرحلة بناء وتشييد الهيئات والمؤسسات، وتكوين واسع لمختلف شرائح المجتمع آن ذاك. تم "ظهور أدب واقعي اشتراكي في الجزائر، نتج عنه نقد اشتراكي من خلال صدور بعض الكتابات الأدبية سواء على مستوى المسرحية أو الرواية أو غيرها فإنَنا لا ننكر دور 'الطاهر وطار'، و'عبد الحميد بن هدوقة' و'أبي العيد دودو'، و'زليخة السعودي' و'مرزاق بقطاش' و'عمار بلحسن' و'خلاص جيلالي...إلخ الذين مارسوا الكتابة عن وعي فني وعن رؤية ثورية واضحة عن الواقع الجزائري" [3]

كما يرى أحمد طالب أنَ" الأدب الملتزم هو الذي يسعى إلى توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي وأدبي أفضل"[4]

فالأديبة الجزائرية زهور ونيسي نحت نفس منحى أترابها والذين عايشتهم في هذه الفترة ذلك نستشفه من مواضيع كتاباتها كمجموعتها القصصية 'روسيكادا' و'الرصيف النائم' وتغريدة المساء، وروايتها جسر للبوح وآخر للحنين...الخ، من هاهنا، التزمت زهور ونيسي بقضايا رأت أنه بات من الواجب التطِّرَّق إليها، ساعية إلى إحداث ثورة لتغيير الكثير من السلوكيات والعادات البالية،

[1] – أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:1،1979، ص:14.

[2] – لخضر العربي مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر، عدد 06،2007، ص8

[3] – أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط:1، 1989، ص: 222.

[4] – أحمد طالب، القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ص: 21.

خاصة فيما يتعلق بواقع المرأة المزري الذي آلت إليه اجتماعيا وثقافيا، هذه المرأة كانت تتخبط في وحل الجهل وظلمة الأمية بسبب مخلفات الاستعمار من
جهة، وبعض العادات القاهرة التي كانت تحط من قيمتها، وتزدريها، وتنظر إليها بعين النقص والدونية من جهة أخرى.

حيث تقول:"إن الرواية عندي ليست فنا ثابتا، إنها تجربة ووحدة انطباع، إنها نص يستوعب السياسة والتاريخ بأسلوب إبداعي، إنها الشكل الأدبي الذي بإمكانه تجاوز كل الأوضاع، إنها مغامرة مفتوحة أبدا"[1]، هذا ينم عن وعي كامل بالرسالة الإنسانية التي تحملت ونيسي أعباءها في إبداعاتها، ووعت لغتها وأسلوبها للتعبير عن هكذا قضايا.

وترى رجاء عيد أن" الكتاب الذين يدينون بالواقعية الاشتراكية يرون أنهم لابد من انحيازهم إلى جانب السلطة وأن الفنان يحقق سعادته في مجال الفن والأدب"[2]

وهذا عكس ما يؤمن به سارتر الذي يرى:" أن عمل الكاتب يخلق الحاجة إلى العدالة وإلى الحرية وإلى التكافل–فعليه بذل سعيه وجهده لإرضاء هذه الحجات بواسطة أعماله الفنية المتلاحقة والمتتالية"[3] ، وإذا ما قسنا على ما صرحت به زهور ونيسي في روايتها تغريدة المساء هي أميل إلى الالتزام والحرية أكثر منه إلى جبرية السلطة، وإن كانت هي أحد أعضاء هذه السلطة في زمن مضى، لأن إيمانها برسالتها الأدبية يشدها أكثر مما عايشته مع السلطة.

من أجل ذلك لتوفيق الحكيم رأيته حين يقول:" إنَّ الأديب يجبُ أن يكون حرّاً؛ لأنَّه إذا باع رأيَهُ، أو قيَّد وِجدانَهُ، ذهبتْ عنه في الحال صفةُ الأديب؛ فالحريَّة هي يَنبوع الفن، وبغير الحريَّة لا يكون أدبٌ ولا فنٌّ.. إنما التزام الأديب أو الفنان شيء ينبع حراً من أعماق نفسه قوة في فإن لم ينبع الالتزام حراً من قلبه وبيئته وعقيدته، فلا تلزمه أنت ولا تلزمه قوة في الوجود...يجبُ أن يكون الالتزامُ جزءاً من كِيَان الأديب، ويجب أن يلتِزمَ وهو لا يشعرُ أنَّه ملتزِمٌ، مَثَلُهُ مَثَلُ حَمامِ زاجلٍ ينقُلُ رسالةً وهو حُرٌّ طائرٌ، لا يَشْعُرُ بقَيْدٍ في ساقه، ولا بِغُلٍّ في جناحه."[4]، فالحرية هي أساس

[1] – زهور ونيسي، تغريدة المساء، منشورات ANEP، 2015، ص: 56.

[2] – رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، ص:160.

[3] – سارتر جان بول:Situation p 51 نقلا عن رجاء عيد، فلسفة الالتزام،ص:151 .

[4] – توفق الحكيم فن الأدب، مؤسسة هنداوي،2023، ص:209.

الإبداع، وهي سلاح الأديب وعماده الذي يرتكز عليه من أجل أن يعبر بصدق عما يجول في نفسه وأحاسيسه، لذلك التزمت زهور ونيسي بمواضيع من عمق المجتمع الجزائري من بينها:

أ- الالتزام بقضية المرأة:

تُعد زهور ونيسي الكاتبة الثائرة على كبت الحريات وتقييدها في الجزائر، جسدتها ثورتها ومشاعرها الداخلية في نصوصها الإبداعية تملؤها النخوة وتفيض بها عزة وكرامة، تلك هي الحرية التي آمنت بها كاتبتنا، وذاك هو الالتزام الذي تكبدت زهور ونيسي مسؤوليته في إحساسها بالجمال المتمثل في الدفاع عن الحق والخير والمنفعة التي تعود على الفرد والمجتمع.

لذا عبرت في جل كتاباتها عن مختلف القضايا التي تعلقت بالمرأة في الجزائر تطرقت في قصتها **'الاسم الحلم'** إلى قضية تسمية البنات بأسماء مخجلة كاسم حدَّة وإلى كراهية الآباء للمولودة الأنثى وتباهيهم بالمولود الذكر، إلى جانب ذلك منع الفتاة من حقها في التعليم في المدارس، وإن حدث في بعض العائلات ليس من حق البنت تتمة الدراسة في التعليم المتوسط وما بعده.

وفي رواية **'من يوميات مدرّسة حرة'**[1] في فصلها الرابع تعالج زهور ونيسي قضية إنجاب البنات وما يتعرض له الآباء والأمهات من إهانة وتأنيب واصفة موقفا حرجا" كثيرا ما يحدث ذلك عندما تزورنا عمتي...عمتي الوحيدة..فقد كان حديثها دائما ملفاً في طابع من الرثاء والشفقة على أخيها الذي لم يرزق الذكور...كانت أمي لا تجيب أبدا...لأنها تشعر أن والدي سعيد ببناته...فهو في نظر الأهل والجيران يأتي منكرا، ثم يعلن عنه دون استحياء...البنت تخرج من البيت، وتتعلم في المدرسة...مدرسة مختلطة، وعمرها أربعة عشر سنة...خروج عن العرف والقانون."[2] ، وهذه القضية أثقلت كثيرا كاهل الكاتبة، وهي تذكرها بعصر الجاهلية حين كان العرب يسمحون لأنفسهم بوأد بناتهم، لأن البنت في نظرهم كانت تجلب الخزي والعار.

كما لم تُغيِب زهور ونيسي في كتابتها المرأة المجاهدة إبَان حرب التحرير الوطني، وهي تتحدث عن فضيلة إحدى صديقاتها المفضلات فتقول:" لقد قدر لصديقتي 'فضيلة ع' أيام ثورة التحرير أن تكون في خدمة مسؤول كبير، يعتبر من قادة الثورة بالعاصمة، وبصفتها سكرتيرة في إحدى مصالح الإدارة الاستعمارية، لقد لب منها أن تكون عينا له وتوافيه بكل الأخبار وتأتيه بنسخ من

[1] – زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، اسم الحلم، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني،2009، ص:479-480.

[2] – زهور ونيسي، 'من يوميات مدرّسة حرة'، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني،2009 ص:68

جميع الوثائق المهمة...وفعلت كل ذلك بصدق وحيوية وتكتم"[1] وهذه شهادة أخرى في حق 'صفية' صديقة العائلة" كانت من ذلك النوع من المناضلات الذي يتصور أن على كاهله يقع كل شيء...فكانت وهي تدرس في بداية الثورة بالمدرسة أو بعدها، وهي تدرس الخياطة والتدبير في أحد مراكز الحي...كانت تقوم بكل ما يوكل إليها من عمليات اجتماعية أو فدائية"[2]

ويخلص 'عبد الحميد هيمة' إلى أنه كان" للمرأة دورها في المقاومة الثقافية، وإنتاج الخطاب المضاد للاستعمار"[3] ، وفي هذا المقام استطاعت زهور ونيسي أن تِؤرخ للمرأة الجزائرية وتخصص لها قسطا وافرا من قصصها ورواياتها، حيث أدرجت الكثير من أسماء المناضلات والشهيدات اللواتي ضحين بالنفس والنفيس من أجل نيل الحرية ,استرجاع هيمنت الوطن المفدى.

وتحكي في قصتها 'روسيكادا' –مدينة سكيكدة حاليا– عن طفل يولد في زنزانة في أحد السجون هذه المدينة من أم ذاقت شتى أنواع التعذيب،"كانت تلك المرأة الصغيرة، وضعتني في السجن لأولد سجينا، أخرج من سجن لأجد نفسي في سجن، مجاهدة، قالوا عن أمي مكافحة ضد مغتصب الأرض...ثم ماتت أمي تلك اللينة، بين أحضان الزنزانة الصلبة الباردة والتي كان يحرسها أكثر من عزرائيل، خوفا منها وهي مقطوعة اليدين"[4]

ثم تقدم لنا زهور ونيسي في مجموعتها القصصية 'الرصيف النائم 1967' "صورة واقعية عن المرأة الجزائرية، فتصف تأخرها وقسوة المجتمع عليها وتعبر عن تطلعها إلى حياة أفضل وأكثر كرامة"[5]

ب– الالتزام بالكتابة التاريخية:

عُرفت زهور ونيسي بتمسكها بتاريخ وطنها، الذي يعد جزء من كيانها، وامتدادا لوجودها وماض عالقا في ذاكرتها، تستمد منه إلهامها وإبداعها الأدبي، مفتخرة به تارة، لأنها تجد في استعادة لذاكرتها وعودة إلى الذاكرة الجماعية، وربط الماضي بالحاضر لتأسيس لبنات المستقبل، وبناء جسور التواصل مع الهوية الوطنية، والتطلع إلى أفق واعد تنسجه في أحلامها وتسعى وتناضل من أجل أن يتحقق على أرض الواقع، وتأسف عليه تارة أخرى لأن البعض أصبح ينظر إليه نظرة

[1] – ينظر: زهور ونيسي، تغريدة المساء، ص:70.

[2] – زهور ونيسي، 'من يوميات مدرّسة حرة'نص:76

[3] – بقلم: عبد الحميد هيمة، ضمن كتاب: زهور ونيسي الزهرة التي هزمت الأشواك، دار سعاد أحمد الصباح، 2023 ص:163.

[4] – زهور ونيسي، روسيكادا، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني، ص:521–522.

[5] – أبو العيد دودو، ضمن كتاب: زهور ونيسي الزهرة التي هزمت الأشواك، دار سعاد أحمد الصباح ،2023، ص:357.

ازدراء، وقطع أواصل الرحم الممتدة إلى هذا التاريخ الذي يسعى الغزو المادي والتطور التكنولوجي إلى طمسه، واللذان حوّلا الإنسان إلى شبه آلة إنتاجية لا تؤمن إلا بما هو محسوس ملموس، وعلى هذا الأساس ربطت زهور ونيسي معظم انشغالاتها الإبداعية بتاريخ الثورة الجزائرية وهي التي عايشت أحداثها وذاقت مرارتها ضد مستعمر الغاشم كان يطمح إلى طمس الهوية الجزائرية وإبادتها.

وفي روايتها 'تغريدة المساء' تقول زهور ونيسي على لسان أحمد أحد أبطال هذه الرواية: ما" يؤثر في يا حبيبة، ليس ابتكارات الكوكاكولا والهامبرغر، التاريخ هو فكر ونهضة وعبقرية وليس ثقافة إشهارية مادية تقضي على الروح الإنسانية، ومعانيها السامية"[1] ،مما يكد الاهتمام البالغ للكاتبة على قضية التاريخ، وهي بذلك تسترجع ذاكرتها وذاكرة الأمة في الوقت ذاته التاريخ الذي عاشت أحداثه وتجرعت مرارته، وعندما تذكر التاريخ هذا معناه الثورة التحريرية.

لذا تضيف قائلة "إن الجهاد من شأنه أن يصنع الناس صنعا آخر، يقولبهم كما يشاء، إلى صورة أخرى، غير التي كانوا عليها، يبدلهم صورة أحسن وأفضل وأقدس...إنهم ملائكة يسكنون قمم الجبال القريبة من السحب، ليصطادوا فرائسهم من العدو هناك، ويعيشون ويموتون نسورا ولا يرضون بغير الجبال الشامخات بديلا"[2]، فهؤلاء الرجال يشبهون النسور في صفاتهم اختاروا الشموخ، لأنهم يتوقون إلى الحرية والعيش الكريم، وحتى إذا ماتوا بقيت جثامينهم بعيدة لا تصلها الحيوانات المفترسة، و تمتد لها أيادي العابثين.

وهاهي أديبتنا تنقل القارئ إلى مشاهد أخرى، وتثلج صدر كل من يرتشف رحيق كتاباتها فهاهي تصف لنا بعض المشاهد في أعالي جبال 'الشريعة' هذا المكان" هادئ ساكن، إلا من تغاريد الطيور المتنوعة وهديل اليمام ومنظر الشمس في الأصيل وهي تغرد في الأفق معلنة عن الغروب، إن الجبال مكان لعل التوترات وانهيارات العصبية، وراحة وشفاء لمختلف أمراض الربو والحساسية والرطوبة"[3]، معجبة هي زهور ونيسي بالمناظر الطبيعية الخلابة لبلادنا وكأنها تدعو القارئ إلى فسحة على أرجاء أعالي الشريعة المعروفة بثلوجها وغاباتها.

[1] – زهور ونيسي، تغريدة المساء، ص:65.

[2] – ينظر: زهور ونيسي، 'من يوميات مدرّسة حرة'، ص:209

[3] – زهور ونيسي، تغريدة المساء، ص:77.

ثم تفاجئ أفق انتظار القارئ وتضعه أمام لوحة رهيبة وبعد هذه المشاهد الجميلة لتتحدث بكل ألم ووجع عن ما آلت إليه هذه الجبال في زمن العشرية السوداء حين تقول:" إلى أن جاء الإرهاب بفكره الظلامي، ليسكن هذه الجمال، ويهجرنا منه أكثر من عشرية كاملة من الزمن جاء ليسكن الجبال من أجل تدمير الجمال"[1]

وفي قصتها **'سكر وذباب'** تواصل زهور ونيسي سردها للأحداث الدامية لفترة العشرية السوداء" قلت هل قرأت صحف اليوم؟ لا لم أفعل؟ قالها رشيد لصالح، وهو ينطق الحروف متابعا باشمئزاز كبير، ربما من السؤال والسائل ومحتوى ما سيعطيه من جواب:

ولماذا اقرأ الصحف؟ وأي الصحف تريد أن أقرأ؟ الصحيفة الكاذبة، أم المدعية، أم المبالغة أم المسالمة المدجنة أم الإرهابية، أم العلمية؟...أصبحت الكلمة دون مدلول، أرى الصحف مدادا أسوء بل لطخا سوداء تشوه بياض الورق الناصع وتعكس الحقد الأسود الذي تمتلئ به الصدور، والنتيجة اغتيال كبير لوجدان القارئ...رشيد صديقي...أردت فقط أن أشير إلى أحد الصحفيين الممتازين الدين نحبهم قد اغتيل رقم جديد..أصبحنا رقما في عملية اغتيال العقل والعبقرية رقم يضاف إلى الأرقام الأخرى سوف لن نصل إلى تعويضها إلا بعد عشرات السنين"[2]، من خلال الجريدة اليومية يتجرع القراء مرارة الأخبار المفزعة حتى أصبحوا يخافون جديد الصحف، وما تأتي به ،خشية أن يتلقوا نعي أحد الأقارب أو واحدا من أعز الأصدقاء، أو شخصية ثقافية معروفة وغيرها.

كان الرجال يصيحون و...بفرحة...كانت وجوههم مستبشرة رغم عذابهم. رصيف الميناء لم يكن عريضا جدا لكن الباخرة توقفت فيه جيداً دون صعوبة...مجموعة من الرجال لا يقل عددهم عن الأربعمئة رجل، ينزلون من سلم الباخرة في حركة ثقيلة، كانوا مربوطين في أيدي بعضهم البعض كأنهم خراف تساق إلى الذبح، والحراس من العسكر الفرنسي غلاظ شداد يدفعونهم دفعاً للنزول."[3] ، هو مشهد مهيب صورته لنا زهور ونيسي، في كتابها **كاليدونيا** تحكي من خلاله عن المهجَرين بلا

[1] – زهور ونيسي، تغريدة المساء، ص: 78

[2] – زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني، ص:429– 430.

[3] – زهور ونيسي، كاليدونيا أو النفي بلا رجعة، منشورات ألف، ط:1، 2018، ص:13.

رجعة، رجال نفتهم الحكومة الاستعمارية الفرنسية، إلى منطقة كاليدونيا، تجسد فيه أحداثاً تاريخية تلطخ ماضي فرنسا الموسوم بالخزي والعار.

ج- الالتزام بقضايا اجتماعية:

إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداما أفضى إلى الفوضى"[1] فالأديب صاحب رسالة اجتماعية نابعة مما يعتقده عن وعي وقناعة، ومسؤولية" أمام ضميره وأمام عقيدته، وأمام المجتمع الذي ينتمي إليه، وأمام الإنسانية قاطبة...فهو بحكم عمله وبموجب المهمة التي ندب نفسه لها، غير قادر على أن يتجاهل ما يجري حوله...لذلك يتخذ البادرة الحرة المسؤولة في معاجلته ليحقق وجوده كما ينبغي له"[2] فلذلك لا يخلو أديب من الالتزام ، فالالتزام بقيم وآراء في النطاق الاجتماعي والقومي.

ترى النظرية الاجتماعية أن الأدب مرآة عاكسة للمجتمع الذي ينتمي إليه، ولا بد" للفنان المثمر أو الأديب الحق من أن يكون وليد عصره وابن بيئته...بغير ذلك يصبح الأدب أو الفن شيئا ضعيف الأثر ضئيل القدر، بعيدا عن قضايا العصر، منعزلا عن مصايرة البشر"[3]

وهذا ليس معناه أن يكون هذا الأدب أو هذا الفن "هابطا في مستواه الفكري أو مدارك الطبقات الدنيا ، قد تكون البيئة بدائية، فالأديب الرفيع قد ينتج أدبا رفيعاً من بيئة متواضعة وبالمقابل السوقي قد ينتج أدباً سوقياً من بيئة مرتفعة"[4]

وأن الالتزام بالأغراض القومية والإصلاحية" قد يكون من منفرات الأثر الأدبي إذا نقل إلى بيئة أخرى تشعر شعوراً آخر"[5]

وهذه مغامرة وتضحية كبيرة جدا، يقدمها الأديب ضد شهرته، ومما يسبب نفور القراء تجاه إبداعاته.

وعلى الرغم من ذلك التزمت زهور ونيسي بقضايا اجتماعية في قالب لغوي غاية في الفصاحة والطلاقة بوصفها الجميل للطبيعة الخلابة:في قصتها **'جحيم وذهب'** من المجموعتها القصصية

---

[1] – نجيب الكيلاني، الإسمية والماهب الأدبية، مؤسس الرسالة، بيروت، 1987، ص:40.

[2] – أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر، ص:14.

[3] – فن الأدب ص210

[4] – ينظر: فن الأدب ص211

[5] – فن الأدب ص 216

'روسيكادا ' حيث تقول:"الشمس تتحدر منكسرة الخاطر، بعد أن شن الغروب عليها حملته والسحب البيضاء والرمادية في رقة ندف عجين الريفية، تعوم فوق الأفق القريب والبعيد."[1]

وبعد أن رسمت في أذهان متلقيها لوحة طبيعية غاية في الجمال، تنقل القارئ إلى لوحة اجتماعية تصبو من خلالها إلى تعرية بعض الحقائق من واقع المجتمع الجزائري فتقول: هذا الشاب" ليست له أية مؤهلات لكنه يطمح إلى حياة ملآ بالمؤهلات، المطاعم الكبرى والسيارات والجمال...كيف يحصل ذلك؟ ولِمَ لا يحصل؟ ألسيت الأحلام وحدها هي ما تبقى للمرء عندما تضيق به السبل؟ ثم أليست الأحلام وحدها هي التي توزع بالمجان؟ نغرف منها ما نشاء، وقت ما نشاء دون أن ندفع شيئا؟ لكن الأحلام شيء والواقع شيء آخر الرجل الغريب يريد أن يحقق أحلاما كثيرة، معتمدا على الحظ والحظ وحده، حتى لو ضاقت به السبل إن حالته مستعصية في كل الأحوال...هل هي حياة أم تطفل على الحياة؟ ما بال الناس لا يدركون من حقيقة الحياة إلا ما تولده أحلامهم المريضة؟ التحليق في عالم من الأوهام...هل يمكن أن نشوه حقيقة الحياة ونسقط في الغلط لهذه الدرجة؟ نعامله هذه المعاملة الهزلية العابئة، ونطلب منها أن تمدنا بثمار حقيقية...النجاح، المال، الجد، دون أن

نحرِّك ساكنا من أجل ذلك...نتعامل معها حسب المزاج...نطلب الحرية عن طريق القهر والعبودية، والنجاح عن طريق الكسل، والكمال دون علم، والحب عن طريق الحقد الأكثر سوادا، والجمال على ركام من الدمامة والقبح"[2].

في قالب لغوي محاط بنوع من الضبابية حينا، ومغلَّف بأسلوب ساخر يحمل في طياته آلاماً حيناً آخر، لا يحس بها إلاَّ من حمَّل نفسه عبء مجتمع ينقصه الوعي، وتغيب عنه الحقيقة المؤلمة، فعلا وهل يتحقق النجاح دون كدِّ ولا جدِّ؟ وهل ينال المرء حريته مستسلما للقهر والاستعباد، وهل نواكب سير الأمم في غياهيب الجهل؟ أم هل يطلب الرخاء والأمن والأمان في مستنقع الحقد والكراهية؟

هكذا تضعنا زهور ونيسي أمام جملة من التناقضات محاولة هزَّ النفوس الجامدة، وإرساء بواعث روح ثائرة، تواقة للحرية والسلام من أجل التغيير إلى الأحسن وتحقيق العيش الكريم.

[1] – زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، أعمال، المجلد الثاني، دار هومة، 2009، ص:425.

[2] – المصدر نفسه، ص:425.

وفي قصة **اللوحة**[1] تعالج زهور ونيسي قضية اجتماعية أخرى ألا وهي ظاهرة زيارة الأضرحة، وما يحدث هناك من ولائم، واعتقادات الناس ببركات الولي الصالح، ولب العون منه وغيرها من الأمور التي لا تمت بصلة مع شرائع ديننا الحنيف.

أما في قصتها **الثوب الأبيض**[2] تسلط على مشكلة أخرى، قضية تعليم البنات، والزواج المبكر للفتيات مما يحول دون متابعتهن لدراستهن، وعدم تحقيق أحلامهن المستقبلية. وها بطبيعة الحال يقلل من شأن المرأة التي هي نصف المجتمع، الركيزة المعول عليها في بناء أسرة متحضرة، أوليست أستاذ الأساتذة الأولى؟ –على قول الشاعر أحمد شوقي– وهي التي بإمكانها تحقيق آما أمة من الأمم.

وعلى الرغم من طبيعة المواضيع الألصق بالمباشرة، في نظر عمر بن قينة فقد بعثت الكاتبة في موضوعاتها "حيوية جعلته–غالبا– مفعمة بالنشاط الحار، والسحر الرومنسي والثوري والأسطوري معا...وإنما هي رومنسية شاعرية ثورية تتطلع إلى الغد السعيد"[3]، وفي الخير نخلص إلى أن الأديبة زهور ونيسي، التزمت في كتاباتها الإبداعية بمواضيع عبَّرت من خلالها عن خلجات نفسها، وما كانت تكنه لمجتمعها ووطنها، فكان قلمها ومازال يدافع عن قضايا تعنى بالمجتمع الجزائري، فلم تكتب ونيسي يوما لغير الجزائر، فهي بذلك الابنة البارة بوطنها. ولقد أبدعت في قصصها ورواياتها بلغة رصينة تداعب قارئها بوصفها الدقيق لمجريات الأحداث ثم تستدرجه إلى الفكرة التي تنوي إيصالها إلى الأذهان بكل التزام دون جبر ولا إلزام.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ج:02، 1998.

[1] – ينظر: زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، قصة: اللوحة، ص: 49–50–51.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 56–57.

[3] – ينظر: عمر بن قينة، رؤية الواقعية الاشتراكية وملامح الرومنسية الثورية، ضمن كتاب: زهور ونيسي الزهرة التي هزمت الأشواك، دار سعاد أحمد الصباح ،2023، ص:141

2. أحمد ابوحاقة، الإلتزام في الشعر العربي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، س ط 1976.

3. نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، س ط 1987.

4. عباس محجوب: الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية، ط 1، جدار للكتاب العالمي، عمان، 2006.

5. رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكنرية، مصر، 1988 .

6. لخضر العربي، مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر، عدد 06،.2007

7. أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط:1، 1989.

8. زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، اسم الحلم، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني،2009،

9. زهور ونيسي، 'من يوميات مدرّسة حرة'، أعمال زهور ونيسي، المجلد الثاني،2009 ص:68

10. عبد الحميد هيمة، ضمن كتاب: زهور ونيسي الزهرة التي هزمت الأشواك، دار سعاد أحمد الصباح، 2023.

11. زهور ونيسي، المجموعة القصصية روسيكادا، أعمال، المجلد الثاني، دار هومة، 2009، ص:425.

12. عمر بن قينة، رؤية الواقعية الاشتراكية وملامح الرومنسية الثورية، ضمن كتاب: زهور ونيسي الزهرة التي هزمت الأشواك، دار سعاد أحمد الصباح ،2023.